The Conquest of North Africa (Libya) in the Perspective of the British Orientalist Hugh Kennedy

Zainab Kazem Abd AL Hassan
mailto:zzz1992mnt@gmail.com
Prof. Laith Shaker Mahmmoud (Ph.d)
Dr.Laithshakir@Gmail.com
University of Baghdad - College of Arts

DOI: https://doi.org/10.31973/aj.v3i144.4076

ABSTRACT

This study aims at revealing the role of oriental studies in the studies of the Islamic conquest of North Africa and its stages from the point of view of the contemporary British orientalist Hugh Kennedy and to form a comprehensive picture of him through the study of Arab primary sources, as they presented accurate studies on the most important media and leaders of the conquest, and the importance of this The study sheds light on most of the events he dealt with about the conquest of the Maghreb, the most important events that took place during the conquest and the policy of the leaders in conquest, as well as their view of conquest, which they call the term (invasion) and at other times (occupation), and most of them realized the historical importance of the events despite the conflicting Arab accounts in Set dates for unlocking some cities.

Keywords (Fatah, Africa, Orientalism)

فتح شمال أفريقيا (ليبيا) في منظور المستشرق البريطاني هيو كيندي

الباحثة زينب كاظم عبد الحسن
جامعة بغداد، كلية الآداب
قسم التاريخ

الأستاذ الدكتور ليث شاكر محمود
جامعة بغداد، كلية الآداب
قسم التاريخ

(مُلَخَّصُ البَحث)

جاءت هذه الدراسة من أجل الكشف عن دور الدراسات الاستشراقية في دراسات الفتح الإسلامي لشمال افريقيا ومراحله من وجهة نظر المستشرق البريطاني المعاصر هيو كيندي وتشكيل صورة شاملة له من خلال دراسة المصادر الأولية العربية ، إذ قدّموا دراسات دقيقة عن أهم الاعلام وقادة الفتح، وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسليط الضوء على معظم الأحداث التي تناولها عن فتح المغرب العربي، وأهم الأحداث التي جرت خلال الفتح وسياسة القادة في الفتح فضلاً عن نظرتهم للفتح الذي يطلقون عليه مصطلح (الغزو) وتارة أخرى (احتلال) ومعظمهم أدرك الأهمية التاريخية للأحداث رغم تضارب الروايات العربية في تحديد التواريخ لفتح بعض المدن.

الكلمات المفتاحية (فتح، أفريقيا، الاستشراقية)

المقدمة

تهدف هذه الورقة إلى توضيح رؤية المستشرق البريطاني هيو كيندي في فتح المغرب العربي، الذي يعده في أيامنا هذه أحد أكبر المستشرقين البريطانيين ومؤرخيهم، ويمكن القول إن في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين الميلادي ارتبطت دراسة الاستشراق البريطاني بالثقافة البريطانية، مما أدى إلى اختلاف الدراسات الاستشراقية المعاصرة عن القرون السابقة وتأثرت بنتائج الحرب العالمية الثانية التي لم تقتصر نتائجها على المتغيرات في الخارطة السياسية بل لها نتائج اقتصادية واجتماعية وأفول نجم بريطانيا وألمانيا وبروز نجم الولايات الأمريكية المتحدة، هذا ما تميزت به دراسة المستشرق هيو كيندي حيث ظهور الدراسات الموضوعية الهادفة وهذا التطور التدريجي حول التاريخ الإسلامي إنما هو في الواقع يتمثل في التطور التدريجي للسياسة الأوربية والأمريكية في المنطقة العربية وطبيعة علاقتها بالعرب، وعلى الرغم من ذلك ظل الاتجاه القديم للاستشراق يلعب دوراً مهماً في الدراسات الاستشراقية .

وتمثل الأحوال السياسية في شمال أفريقية نقطة تحول مهمة في تاريخها بصفة خاصة وتاريخ الدولة الاسلامية بصفة عامة فقد شهدت هذه الحقبة زيادة الضعف الذي أصاب السيطرة البيزنطية في شمال أفريقيا نتيجة الخلافات في الإمبراطورية البيزنطية وتأثيرها على مركز القرار السياسي في شمال أفريقيا ومن أهم مظاهر هذه الحقبة، أصبحت برقة وطرابلس تابعتين لولاية مصر وفي العهد الأموي أصبحت لايتين بين مصر وافريقية، وأصبحت افريقية ولاية بحد ذاتها تابعة للخلافة الإسلامية.

اولاً/ السيرة الذاتية للمستشرق هيو كيندي (Hugh Kennedy)

ولد المستشرق هيو نايجل كينيدي في ٢٢أكتوبر في عام ١٩٤٧م، في مدينة هيث ، في مقاطعة كينت، وفيها تعلم تعليمه الاول في المراحل الابتدائية والثانوية حتى التحاقه بالدراسة الجامعية(Kennedy, CV, p 1-2)، بدأت مسيرته العلمية واهتمام بالتاريخ الإسلامي منذ حصوله على منحة دراسية من قبل وزارة الخارجية البريطانية لدراسة في مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية في شملان [١] في لبنان عام ١٩٦٥م (كيندي،٢٠٠٨، الفتوحات العربية الكبرى، ص ٥٦٥)، وهذا المركز لتعليم اللغة العربية لرجال السلك السياسي البريطاني وعناصر مختلفة من موظفي الحكومة البريطانية في الشرق الأوسط، وفي عام ١٩٦٦م عاد إلى بريطانيا ليكمل دراسته إذ التحق بكلية بيمبروك التابعة لجامعة كامبردج،

[١] مركز الشرق الأوسط للدراسات العربية: أو MECAS، أو معهد شملان أو مدرسة شملان هو معهد أسسه الجيش البريطاني أثناء الحرب العالمية الثانية في القدس ١٩٤٤م، ونُقل لاحقاً إلى لبنان كمعهد مدني في قرية شملان التي تبعد عن بيروت ٢٥ كم، حيث كان قائماً ما بين ١٩٤٧ و١٩٧٨م من الانتداب البريطاني ينظر. العقيقي، المستشرقون، ط٣، ج٢/ ص٤٣٨.

وهي ثاني جامعة على مستوى العالم بعد جامعة أكسفورد تأسست عام ١٢٥٧م، للتخصص باللغتين العربية والفارسية وفي عام ١٩٦٩م، تخرج من جامعة كامبردج بدرجة البكالوريوس في الآداب(كيندي،٢٠١٠، بلاط الخلفاء، ص٧-٨؛ .(Kennedy, Who's Who 2015

بعد التحاقه بالدراسة لهذه الجامعة تأثر تأثيراً واضحاً من الأساتذة الذين درس على أيديهم وأخذ الكثير من الثقافة والمعارف التي ساعدته نحو التوجيه للدراسات العليا، أكمل دراساته العليا في كلية الدراسات الشرقية بجامعة كامبريدج عام ١٩٧٨م وعنوان أطروحة الدكتوراه (السياسة والنخبة السياسية في أوائل الخلافة العباسية) (Kennedy, CV, p1-2)، أما سيرته الأكاديمية ومهامه الإدارية والعلمية حيث تشكل السيرة العلمية الأكاديمية لهيو كيندي جانباً مهماً في تطوير الدراسات الاستشراقية المعاصرة في بريطانيا وانجازاته في نطاق التاريخ الإسلامي، بدأ هيو حياته الاكاديمية بعد اكماله دراسة الدكتوراه ١٩٧٢م، ويمكن أن نلاحظ عمله الأكاديمي بدأ في عام ١٩٧٢م حيث انضم هيو كيندي الى جامعة (St- Andrews) كمحاضر في تاريخ العصور الوسطى، وتُعد هذه الجامعة من أقدم الجامعات في اسكتلندا، وفي عام ١٩٩٠م، تم ترقيته لـ (أستاذ مشارك) وهو منصب اكاديمي مشابه للأستاذ لكن بدون كرسي الأستاذية في جامعة الجامعة (St– Andrews)، في عام ١٩٩٧م تم تعيينه استاذاً لتاريخ الشرق الأوسط في قسم دراسات الشرق في جامعة (St– Andrews) وقد استمر في اشغال كرسي الأستاذية في الجامعة الى سنة ٢٠٠٧م، إذ قضى كيندي خمسة وثلاثين سنة في هذه الجامعة من محاضر وحتى أستاذ مشارك ثم أستاذ، نلاحظ أن كيندي درس التاريخ الإسلامي ولم يدرس اللغة العربية في الأقسام خلاف المستشرقين الذين أغلبهم يدرسون اللغة العربية والادب، ينطلق من حيث اختصاصه كمؤرخ (The New Cambridge history of Islam, Volume 1, The Formation of the Islamic World Sixth to Eleventh Centuries, P Xvii Kennedy, CV, p 1-2.

ثم انتقل عام ٢٠٠٧م إلى مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية (SOAS) استاذ الى الوقت الحاضر، وتُعد هذه المدرسة واحدة من أهم المعاهد العلمية التي تخرج منها متخصصين في حقول المعرفة وخاصة التاريخ الإسلامي وتم تأسيس هذه المدرسة بعد تخلف الدراسات الاستشراقية في بريطانيا مقارنة مع الدول الأوروبية الأخرى، إذ شهد الاستشراق في العقد الأول من القرن العشرين الميلادي تأسيس هذه المدرسة عام ١٩١٦م(العقيقي،١٩٦٤، المستشرقون، ٢/ ص ٤٣٣؛ الملا جاسم، ٢٠١٧، الاستشراق البريطاني في القرن العشرين، ص ٥٤)، بعد اصدار(لجنة اللورد راي) عام ١٩٠٧م.

أما المناصب الإدارية الأكاديمية التي شغلها هيو كيندي ، فقد شغل عددًا من المناصب في جامعة(St– Andrews)، فقد شغل منصب نائب رئيس مدرسة التاريخ المسؤول عن شؤون المكتبات وتكنولوجيا المعلومات في عام(١٩٩٢)، والمنصب الثاني عميد كلية الآداب في جامعة(St– Andrews) عام (١٩٩٨م) ، أما الوظائف الإدارية خارج الجامعة (St– Andrews) محرر أول في سلسلة بريل في العصور الوسطى المتوسطية ١٩٩٨م حتى الوقت الحاضر، وعضو مجلس البحوث البريطانية في لجنة إدارة المدارس البريطانية للآثار والتاريخ في بلاد الشام والقدس وعمان(١٩٩٨–٢٠٠٣م)، زميل الجمعية الملكية الآسيوية، انتخب زميل المجمع الملكي بادنبرة ٢٠٠٢م، ومن خلال تتبع سيرته الأكاديمية نلاحظ ترؤس هيو لعدة وظائف اكاديمية وإدارية دلالة على حسن سيرته وكفاءته في شغل مناصب مفصلية أكاديمية في كلية الآداب، جامعة (St- Andrews)(Kennedy, CV, p3–4)

ثانياً/ مفهوم الفتح عند المستشرق هيو كيندي

مفهوم الفتح العربي من أكثر الموضوعات المهمة التي طرحها ودرسها المستشرقون الانكليز في بداية ومنتصف القرن العشرين وفي القرن الحادي والعشرين، ركز المستشرق هيو كيندي في كتابه (الفتوح العربية الكبرى) على الفتح العربي الذي يعتبر التاريخ العسكري للدولة الإسلامية، في البدء ان مفهوم الفتوحات الإسلامية المبكرة The Early Islamic Conquests هي مجموعة حروب بدأت بعد وفاة رسول الله (ﷺ) وتحديدًا في خلافة الخليفة الأول أبو بكر الصديق (١١–١٣هـ/٦٣٢–٦٣٤م) عام ١١هـ/٦٣٤م حينما انتهى من حروب الردة، وعد كيندي هذه الحروب بمثابة المرحلة الأولى للفتوح الإسلامية(كيندي، الفتوح، ص٨٦)، في الحقيقة حروب الردة مختلفة عن الفتوح الإسلامية ولا يمكن اعتبارها المرحلة الأولى للفتوح.

ولذلك تُعد الفتوح من أهم الأحداث التي شهدها التاريخ الإسلامي وامتازت بالانسياح السريع للقبائل العربية الى الهلال الخصيب وإيران ومصر، حيث تغلب الفاتحون على الإمبراطوريتين البيزنطية والساسانية وهما أعظم القوى في تلك الفترة ، وكانت الغلبة الحضارية المتمثلة في سيادة الإسلام واللغة العربية تزيد على أهمية الانتصار العسكري السريع، لأنها مكنت الإسلام ولغته العربية في الأرض المفتوحة حتى الوقت الحاضر، ويعود الأثر العميق الذي أحدثته الفتوح الإسلامية إلى تحول السكان إلى الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقاً، تمتد تعاليمه إلى جوانب الحياة المختلفة، وتؤثر في البنية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية(كيندي، ٢٠٠٨، الفتوح، ص١٧؛ العمري، ص٩)، و يربط بعض المستشرقين الفتوحات الإسلامية بـ(غزوات) رسول الله(ﷺ) وهذا الاعتقاد السائد لدى المستشرقين، وهذا ما ذهب إليه المستشرق هيو أن جذور الفتوح تضرب في تربة السياسات والأفعال التي قام

بها النبي(ﷺ) في حياته وبعد وفاته بدأت الجيوش الإسلامية في (غزو) الأراضي خارج شبه الجزيرة العربية، (كانت غزوات النبي محمد بمعنى ما، بداية لحركة الفتوح الإسلامية)(كيندي،٢٠٠٨، الفتوح، ص٧٦)، وشملت صراعات ومعارك طاحنة في عدة جبهات مع الفرس والبيزنطيين(كيندي، ٢٠٠٨، الفتوح، ص٢١).

وفي منظور كيندي للفتوح الإسلامية المبكرة ((بأنها تعني فرض نخبة سياسية ودينية جديدة على الأراضي المفتوحة ، فالفتح قد يبدو للوهلة الأولى مصطلحاً غير مثير للجدل ينطوي على خضوع فريق ما لفريق آخر من خلال استخدام القوة العسكرية) (كيندي، الفتوح، ص٧٦)، الفتح عند كيندي يتخذ عدة أشكال مختلفة فهو من ناحية يعني النهب العنيف والوحشي لمدينة ما و من ناحية يشير الى الفتح الذي غالباً ما كان عملية أكثر سلمية، ويرى كيندي أن الدبلوماسية كانت أكثر أهمية من الغزو العسكري في الإسلام ولاسيَّما في علاقاتها مع قريش وهذا ما تميزت به سياسة النبي محمد (ﷺ) الذي يميل للسلمية(كيندي، الفتوح،ص٢٩٦).

ويصف (الفتح) قائلاً:(كان للفتوح العربية أثر كبير على التاريخ الإنساني كما أن نتائج هذه السنوات المضطربة قد شكلت العالم الذي نعيش فيه اليوم)(كيندي، الفتوح، ص١٧)، بالفعل الفتوح غيرت الكثير من المناطق لغة ودين ولكن لم تكن مضطربة أو مقهورة، وإنما أغلب المناطق تم تحرريها من الدولة الساسانية والبيزنطية التي تعاني من الانقسام والضعف، ولم يوضح كيندي نظام الجزية هو على القادرين فقط من الذكور من دون المسنين، والنساء، والأطفال، وهو شرط إسلامي يبيح لأهل الكتاب التمتع بحقوق المواطنة في الدولة الجديدة مقابل حمايتهم، وإعفائهم من الخدمة العسكرية و لخلق توازن بين دافعي الجزية من رعايا الدولة والمسلمين الذين عليهم دفع الزكاة وخراج الأرض(كيندي، الفتوح، ص٢٩٦؛ غوتييه، ماضي شمال افريقيا، ص١٣٠)، وعند إسلام أهل الذمة تسقط الجزية ويلزم بالخراج على مقدار الأرض، وصارت الجزية الشرط الجديد الذي حل محل العهود والمواثيق من أجل الحصول رسميًا على حقوق المواطنة لأهل الكتاب من سكان الدولة الإسلامية الفتية أي أشبه بضريبة وليس اتاوى كما وصفها ولم تذكر المصادر مقادير الجزية(ابن زنجويه، ١٩٨٦،الأموال، ج٢/ ص٤٣).

ثالثاً/ فتح المغرب العربي

اولاً لابد من تحديد لفظ المغرب هو اسم أطلقه الجغرافيون العرب على ذلك الجزء من أفريقيا وتشمل طرابلس الغرب، وتونس، والجزائر ومراكش، وأطلق الأوربيون عليه (بلاد البربر) أو أفريقيا الصغرى) ثم (شمال أفريقيا)، وقد أشار المستشرق ليفي بروفنسال الى تقسيم ابن حوقل الذي قسم المغرب إلى جزئين: المغرب الشرقى من حدود مصر حتى زويلة

فى طرابلس، والمغرب الغربى من تلك المنطقة إلى السوس الأقصى، لكن يشير بروفنسال الى التقسيم المقبول عمومًا هو تقسيم المغرب إلى ثلاثة أقسام: أفريقية ، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى(المغرب،١٩٩٨م، دائرة المعارف، ج٣٠/ ص٩٤٧٦).

وبدأ الفتح العربي في اتجاه الشمال الإفريقي (بلاد المغرب) سنة ٢١هـ/ ٦٤٢م، وهو ميدان بيزنطي في صبغته الرسمية، وإن تجرد من القدرة على التهديد المباشر للنفوذ الإسلامي، وتميز بوجود عامل مؤثر، هو العامل المحلي المتمثل في البربر سكان البلاد الأصليين نود أن نسجل ملاحظة على قدر كبير من الأهمية تتعلق بطبيعة الفتح الإسلامي لبلاد المغرب، وهي أن الجبهة المغربية كانت من أعنف جبهات القتال وأصعبها في حركة الفتوحات العربية الإسلامية، فقد استغرقت عمليات الفتح في حوالي سبعين عام متوالية(٢١-٩٠هـ/ ٦٤٢-٧٠٨م)، وهذه الفترة الزمنية تعد فترة طويلة إذا ما قورنت بالمدة القصيرة التي تم فيها فتح بلاد الشام والعراق ومصر وبلاد فارس، على الرغم من اتساع هذه البلاد، ووقوع معارك قاسية وكبيرة واجهها المسلمين، وبعض المستشرقين يصفها بالغزوات التي استمرت سبعين عام قبل فتح البلاد وانهزام العرب مرات كثيرة وطردوا من البلاد كليا خلال تلك السنوات، غير صحيح طردهم كلياً وخلال هذه الفترة اختط عقبة بن نافع مدينة القيروان عام ٥٥هـ والمساجد وبعض الفاتحين استقروا في الأرض التي يتم فتحها (كيندي، ٢٠٠٨، الفتوح، ص٢٩٣).

يرى كيندي أن فتح شمال افريقيا يشكل استمراراً طبيعيًا لمصر، وإقليمًا متممًا لها، ورغبة عمرو بن العاص في تطبيق سياسة الاستمرار في الفتح الإسلامي نحو الغرب، والمنطقة التي تمتد من طرابلس الى طنجة تعرضت لعمليات الفتح بعد فتح مصر أصبحت طرابلس هي خط الدفاع الأمامي مع الفاتحين(كيندي،٢٠٠٨، الفتوح، ص ٢٩٤)، لم يكن للخليفة عمر بن الخطاب كما يبدو أي خطة عسكرية طويلة الأمد أو أي استراتيجية واضحة ويشير كيندي، أن القرارات كانت في الغالب من اختصاص قادة الحرب لذلك فضل عمرو بن العاص ضبط العدوانية البدوية والمحافظة على الروح المعنوية للقوات(تيري، ٢٠٠٤، تاريخ الصحراء الليبية، ص٧٩).

وترد لدى المستشرقين مصطلح (اتفاقية برقة) كان هذا المصطلح مثار اهتمام لدى المستشرقين ومنهم كيندي، إذ يشير الى العهد الذي كتبه عمرو بن العاص الى أهل برقة يوجب دفع الجزية، والمتتبع لهذه الحادثة في المؤلفات العربية ومعرفة ظروف الفتح أو ما تم الاتفاق عليه منها بيع الأطفال في عطاء جزيتهم وما الهدف من هذا الشرط (كتب عمرو بن العاص على لواتة من البربر في شرطه عليهم أن عليكم أن تبيعوا أبناءكم وبناتكم فيما عليكم من الجزية، فلو كانوا عبيداً ماحل ذلك منهم)(تيري، ٢٠٠٤، تاريخ الصحراء الليبية،

ص٧٩)، ولاحظت أن اغلب المصادر خشت ذكر هذه الاتفاقية وإنما اكتفت بذكر(العهد) دون ذكر شروطه والبعض ذكرها ومنهم أبو عبيد القاسم (ت٢٢٤هـ) وابن زنجويه (ت٢٥١هـ) وابن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ) والبلاذري (ت٢٧٩هـ) وربما خوفاً من الإساءة لسمعة الإسلام ، لان اهل برقة وبالأخص لواتة هم احرار لا يجوز بيعهم ومع ذلك اجيز شراء أطفالهم من قبل المسلمين(القاسم بن عبيد، الأموال، ج١/ص٢٩٠؛ البلاذري،١٩٨٦، فتوح البلدان، ص٢٦٥)، عدّه كيندي (حدث فريد من نوعه خلال ظاهرة الفتح ولا يفسر إلا من خلال طمعهم) ، وهو لا يختلف عن بقية المستشرقين الذين يصفون القادة (بالعصابات واللصوص يذهبون سنوياً الى الاصقاع البعيدة والجزر فتعود بالأسرى من كافة شعوب الأرض إلى مدنهم الجديدة)(تيري، ٢٠٠٤، تاريخ الصحراء الليبية، ص٧٩).

ويصف المستشرق البلجيكي جاك تيري عمرو بن العاص (بأنه خالف العام ومارس التقاليد البدوية في الحرب)(تيري، ٢٠٠٤، تاريخ الصحراء الليبية، ص٧٩)، وبعض المستشرقين يروا بأن الرجال في الميدان لا يتحملون المسؤولية لوحدهم وإنما الخلفاء والولاة كانوا حريصين على مغانم الفتوحات ، فضلاً عن تساؤلات عدة إذ كان الهدف هو الغنائم وهذه التجاوزات هي التي اثارت المقاومة الشرسة للبربر مما جعل أعمال الفتح مؤلمة واستغرقت وقتاً طويلاً.

لكنه يصف القائد عقبة بن نافع الفهري (ت٦٤هـ) الذي أشار اليه بحيادية قائلاً:(عقبة بن نافع الفهري الذي قيض له ان يصبح بطل الفتوح الإسلامية في شمال افريقية، ان يجرى في التاريخ والاسطورة باعتباره مثالاً للقيادة العسكرية والجرأة البطولية) ، وفي موضع آخر أشار الى قبره الذي اصبح مزاراً لأهل المغرب من اجل الحصول على البركة وأشار اليه (وهو الوحيد بين القادة المسلمين الكبار الأوائل الذي لايزال ضريحه مبجلاً بهذه الطريقة وكان من صحابة النبي ، وان كان طفلاً عندما قابله وقد أعطاه هيبة في عيون الأجيال التالية)، ويصفه كذلك ((ويمكن انه جلب بركة النبي نفسه الى هذا الجزء من شمال افريقيا) (كيندي، الفتوح، ص٣١٢) رؤية المستشرق لها كذا موضوع حساس بالنسبة للمسلمين الذين يؤمنون بـ (بركة النبي) أراه احترم معتقدات المسلمين وكان حيادياً في طرحه، من الأمور التي اختلفت في فتح المغرب عن غيرها من فتوح المشرق هو تولي قادة الفتح من غير العرب منهم (أبو المهاجر) لم يكن عربيا ، وإنما مولى لدى والي مصر (عقبة) ، وفي الحقيقة هو مولى الوالي مسلمة بن مخلد الانصاري وهو أول من جمعت له مصر والمغرب عام ٥١هـ، بعد عزل عقبة بن نافع فضلاً عن مشاركة البربر في جيوش الفتح لأن القائد عقبة جمع حوله البربر الذين اعتنقوا الإسلام.

ومن القادة كذلك حسان بن النعمان الغساني قائد أموي قام بدور حاسم فى تعزيز فتح إفريقية وتولى ولاية إفريقية بعد وفاة زهير بن قيس البلوي ، أرسله الخليفة عبد الملك الاموي إلى أفريقية لإعادة السلام، بل لفتحها من جديد ، وبعد فتح افريقيا شرع حسان فى جباية الخراج من جميع البلاد المفتوحة وإذا بعبد العزيز الاموي والي مصر يعزله من منصبه سنة ٧٩هـ / ٦٩٩هـ فجأة، وعاد حسان إلى الشرق لما عزله من منصبه استبدل به صفيه موسى بن نصير ٧٩ هـ / ٦٩٨م ومرَّ حسان بمصر مُجردًا من كل شيء(الطالبي، دائرة المعارف التونسية، ص٥١).

وتُعد حملات حسان معلما بارزا فى إرساء قواعد الفتح العربى، وإليه يرجع الفضل فى إنشاء دار الصناعة فى تونس نزولا على أوامر الخليفة الذي كان يتلهف على إنشاء أسطول قوى وإعادة بناء المسجد الجامع في القيروان بمواد أكثر متانة. وحذا حذو المحاولات التى كانت تُبذل وقتذاك فى الشرق، فحاول أن يزود إفريقية أيضا بإدارة تتصف بالكفاية، وأراد أن يضمن تعاون البربر وولائهم، فجعل لهم نصيبا في الفئ وخاصة في توزيع الأرض (الطالبي، حسان بن النعمان، دائرة المعارف التونسية، ص ٥٢).

ومن أهم مدن المغرب: (مدينة قفصة) هي الصيغة العربية للتسمية القديمة (كبصة) ويرجع إلى العصر الروماني كانت قفصة أثناءه أحد المراكز الحضارية المهمة وعاصمة الأملاك البيزنطية في أفريقية قفصة مدينة جرداء تشرف عليها الجبال من الشمال والشمال الغربي والجنوب الشرقي وموقعها على ملتقى الطرق المؤدية إلى الصحراء وإلى التل مما جعل لها أهمية ، وتعد أول واحة على الطريق من القيروان لقد زادت أهميتها بعد فتح العرب لها، واجتاح الفتح الإسلامي الأول أسوار قفصة بقيادة عقبة بن نافع عام ٢٧ هـ /٦٤٧ م بعد قتل القائد البيزنطي غريغوري (طالبي، قفصة، دائرة المعارف التونسية، ص١٢٣)، فاستردها حسان بن النعمان عام ٧٨ هـ / ٦٩٧ بعد أن كانت قد تخلصت هي وكل الشمال الأفريقي من حكم العرب (طالبي، قفصة، دائرة المعارف التونسية، ص ١٢٣– ٤٠٠).

(بنزرت) مدينة على الشاطئ الشمالي لبلاد افريقية على مسيرة أربعين ميلا تقريبًا من شمالي غرب مدينة تونس، وهي بين البحر وبين بحيرة متوغلة في داخل البلاد وموقع بنزرت يسيطر على المضيق بين صقلية والشاطئ الإفريقى، ولذلك فإن له شأنا عظيما من الناحية الحربية، وتوجه إليها معاوية بن حُدَيج عام ٤١ هـ/٦٦١ م و استعادها البيزنطيون وظلت في حوزتهم مدة وجيزة، ثم تمكن حسان بن النعمان من فتح المدينة (ايفر، ١٩٩٨، بنزرت ، دائرة المعارف الإسلامية ،ج٧، ص١٩٣١).

ومن الأمور الأكثر أهمية والمثيرة لشبهات المستشرقين موضوع الجزية والخراج التي تعد أساس بيت مال المسلمين خزينة الدولة الإسلامية وتطور الاوضاع الاقتصادية المصاحبة للفتوحات الإسلامية، والتي أثارت انتباه كيندي عندما تكلم عن أسس الفتوح فقد أشار إلى أن العرب الفاتحين يطلبون على الدوام من الناس الذين قهروهم دفع مبالغ نقدية وفي القرون اللاحقة تم تقسيم هذه الضريبة العامة على أيدي الفقهاء المسلمين إلى فئتين متمايزتين الخراج أو ضريبة الأرض والجزية او ضريبة الرأس التي لا يدفعها سوى المسلمين وفي الفتح كانت اشد غموضاً فهي ضريبة او أتاوى (ايفر ، بنزرت، دائرة المعارف الإسلامية، ج٧، ص ١٩٣٢).

الخاتمة

ويظهر مما تقدم أن القراءة المتأنية لنصيب المغرب من أدبيات الاستشراق خلال النصف الأول لهذا القرن ومنها دراسة المستشرق هيو كيندي تمكننا من استخلاص صورة كثيرة متفاوتة الدلالة والقيمة حول مواضيعها المفضلة والمأثورة وهي عموماً طبيعة الفتح الإسلامي للمغرب العربي وغيرها من القضايا التابعة لتاريخ المغرب، وثمة اتفاق عام بين بعض المستشرقين إن لم يكن اغلبهم على الطبيعة المدمرة (الفتح) للغزو الفعلي ولكن الآراء تختلف حول جدارة الحكومة المسلمة وعبء الضرائب (الجزية والخراج) التي فرضها المسلمون موضوع يتردد كثيراً.

أكد المستشرق ان من نتائج هذا الفتح ان الدولة الإسلامية قد وصلت الحدود التي كانت لها ان تبقى ثابتة على مدى السنوات الثلاثمائة التالية بشكل او بأخر، المستشرق يرجع نجاح العرب في غزواتهم لعدم وجود أي مقاومة مسيحية او محاولة لإعادة المسيحي عاملاً مهماً في تفسير الكيفية التي حقق بها المسلمون سيطرتهم وحافظوا عليها، ويعده(الفتح) الغزو العربي ثاني أكبر حدث تاريخي هز البنيان الاجتماعي للعالم الافريقي وبعكس الرأي الشائع في أوروبا والذي لاتزال ترى له وجوداً في مقراتها المدرسية فإن هذا الغزو لم يكن محاولة استعمارية ، أي لم يكن مشروعاً استيطانياً، وربما هو اختار دراسة الإسلام قصدا لتكون له مهنة في حياته العلمية في (SOAS) ولعل هذا يصدق بصفة خاصة بالنسبة له وللجيل الأحدث نشوءاً، ويمكن أن نصفه في كلمة ما نوعية الدربة التي حصل عليها في هذا المجال هو من جيل معظمه تلقى تدريباً في اللغة والأدب بصرف النظر عن الخلفية اللاهوتية في بعض الحالات ولكن قليلاً منهم كانت له دربة على معالجة التاريخ.

المصادر والمراجع

اولاً/ المصادر الأولية

١. البَلَاذُري، أحمد بن يحيى(ت ٢٧٩هـ)، ١٩٨٨ م ، فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
٢. ابن زنجويه، حميد بن مخلد الخرساني (ت٢٥١هـ)، ١٩٨٦م ، الأموال، تح: شاكر ذيب فياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة السعودية العربية.
٣. أبو عُبيد، القاسم بن سلام الهروي البغدادي (ت٢٢٤هـ)، الأموال، تح: خليل محمد هراس، دار الفكر، (بيروت، د.ت).

ثانياً / المراجع العربية

٤. تيري ، جاك،٢٠٠٤م ، تاريخ الصحراء الليبية في العصور الوسطى ، ترجمة : جاد الله عزوز الطلحي ، الدار الجماهيرية ، ليبيا.
٥. أبو عبية ، طه عبد المقصود، عن الفتوحات الإسلامية، دار النشر للجامعات، القاهرة ، د.ت.
٦. الملا جاسم،٢٠١٧م ، ناصر عبد الرزاق، الاستشراق البريطاني في القرن العشرين المستشرق هاملتون كب عميد الدراسات العربية، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة.
٧. الطالبي ، محمد،١٩٩٤م ، حسان بن النعمان ، دائرة المعارف التونسية ، وزارة الثقافة التونسية، تونس.
٨. العقيقي ، نجيب ،١٩٦٤م ، المستشرقون ، ط٣ ، دار المعارف القاهرة ، مصر.
٩. هيو، كيندي، ٢٠٠٨م ، الفتوحات العربية الكبرى، ترجمة: قاسم عبده قاسم، المركز القومي للترجمة، القاهرة.

ثالثاً/ الموسوعات

١٠. جورج إيفر ، بنزرت،١٩٩٨، دائرة المعارف الإسلامية ، ط١ ، ترجمة : عبد الرحمن الشيخ ، مركز الشارقة للابداع الفكري.
١١. ليفي ، بروفنسال ،1998، المغرب ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، ترجمة : عطية القوصي ، ط١، مركز الشارقة للابداع الفكري.

رابعاً/ المقالات العربية والدوريات

١٢. شاكر، انتصار نصيف،٢٠١٩، الجامعات البريطانية والدراسات العربية والإسلامية (مدرسة الدراسات الشرقية والافريقية انموذجاً)، مجلة الدراسات التاريخية والحضارية، مج ١، ع ٤١، ص٣٠٠-٢٨٨.

خامساً/ المصادر الأجنبية

13. The New Cambridge History of Islam, 2011, volume 1, The Formation of The Islamic World Sixth to Eleventh Centuries, Cambridge University press.
14. Kennedy, Hugh, Curriculum vitae, 2010, School of Oriental and African Studies, University of London.
15. Kennedy, Hugh, Who's Who 2015, Oxford University Press. November 2014, Retrieved 22 October .
16. Mcloughlin, Leslie, 2000, SHemlan: A History of the Middle East Centre for Arab Studies , British Journal of Middle Eastern Studies, Vol. 27, No. 2 , pp 242-243